# بسم الله الرحمن الرحيم

# مشروع الأصول الثلاثة

## الدرس الخامس

الحمدُ لله رب العالمين , والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين , سيدنا محمَّد وعلى آلهِ وأصحابهِ أجمعين , وعنِ التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين , أما بعد :

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب: { اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ جل جلاله: ( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ )[ الذاريات: 56]. وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً)[النساء: 35]. }

- مجدداً فإن علماء الأمة لا يفتؤون يدعون إلى الهدى بقلب صادق, ونية صافية, فإن أحدهم وهو يدعوك يعلم أنك للوهلة الأولى مخالف له, ,ومع ذلك فإنَّه يدعو

لك بالهداية والرشاد والسداد والتوفيق, وهذه القيمة الأخلاقية يجب أن يتحلَّى بها كل داعٍ إلى الحق, لأنه كما قلنا في الدروس السابقة الهدف الأول هو هداية الخلق ولتحقيق ذلك يجب على الداعي كسب القلوب والتأثير عليها لتتقبل الحق, فما أعظمها من نِعمة أَنعَم الله بها على عبادة وما أجمله من خُلُق وما أجلَّها من قيمة.

وتأمل معي دقة عبارة الشيخ رحمه الله "أرشدك" "طاعته" فإن الرشاد هو الإتيان بالعمل المناسب في الوقت المناسب على الهيئة المناسبة ولا يتأتى ذلك إلا بهدي النبي صلى الله عليه وسلم, فإذا علمت ذلك فاعلم أن حال المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وسلم هو الطاعة لما أمر والإنتهاء عما نهى عنه وزجر وأن لا يُعبَد الله إلا بما شرَع.

وقد ذكر الله تعالى هذه الكلمة في مواضع كثيرة من كتابه العزيز, فقال جل جلاله: لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [البقرة : 256], وقال: سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ [الأعراف : 146], وقال في معرض كلام

الجن بعدما سمعوا القرآن قالوا أنه: يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً [الجن : 2], وغيرها ...

• قال المصنف رحمه الله: [ أنَّ الحنيفية هي ملة إبراهيم ]

والحنيفية هي التوحيد وكون إبراهيم حنيفاً أي مائلا عن الشرك إلى التوحيد وعن المعصية إلى الطاعة وعن الفجور إلى البر وعن البدعة إلى السنة, فهذا في الحقيقة هو معنى لا إله إلا الله فإنها متضمنة النفي والإثبات, النفي في إيمان العبد أنه لا إله في الكون يستحق العبادة, والإثبات هو أن يثبت العبد العبودية لله وحده لاستحقاقه ذلك جل جلاله وتقدست أسماؤه, قال جل جلاله: لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [البقرة : 256] فقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله أي قدم النفي على الإثبات وهو كما يقول العلماء "التخلية قبل التحلية" وبذلك يكون التوحيد الخالص فلا يخالطه أدنى شيئ فيه شرك بالله عز وجل, ودلالة ذلك أن النكرة في سياق النفي تفيد العموم فقولنا "لا إله" يفيد عموم النفي على كل الآلهة المزعومة والتي عبدها البشر بتضليل من شياطين الإنس والجن, وقولنا "إلا الله" هو استثناء منذلك العموم وهذا الإستثناء يفيد التخصيص والحصر.

وإبراهيم عليه الصلاة والسلام أبو الأنبياء وذلك أن الأنبياء من بعده كلهم من ذريته من نسل إسحاق ونبينا الكريم من نسل إسماعيل صلى الله عليهم أجمعين, وهو من أولي العزم من الرُّسل والذين قال العلماء أنهم خمسة: فإبراهيم, وموسى, وعيسى, ونوح, ومحمد صلى الله عليه وسلم.

وإبراهيم صلى الله عليه وسلم ضرب أروع المواقف في بابي التوحيد والطاعة فأما التوحيد فهو في مخالفته هوى أبيه في عبادة الأصنام بل وجهاده في تحطيمها وإعلان البراءة من الشرك وأهله وحتى لو كان أبوه, وفي ذلك كان اسوة لنا صلى الله عليه وسلم, قال جل جلاله: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [الممتحنة : 4]

وفي مقام التشريع حيث أمره الله عز وجل عبر الرؤية المنامية – ورؤيا الأنبياء حق وهي من الوحي, ورؤيا المؤمنين الصادقة جزء من 46 جزء من النبوة – بذبح ابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام فما كان منه إلا الإمتثال وأخبر ابنه فامتثل, قال: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ [الصافات : 102]

قلت: فما بال أقوام ينكرون حجية سنة النبي صلى الله عليه وسلم بحجة أن لا تشريع إلهي خارج القرآن, بل ويضحكون على المؤمنين ويلمزونهم بالشرك, وها هو إمام الموحدين يقدم على ذبح ابنه لمجرد رؤيا منامية رآها ! بل ويقول له ابنه الفقيه "يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ" !

فإبراهيم صلى الله عليه وسلم استحق لهذه المواقف الجليلة وغيرها– بعد هبة الله له بالنبوَّة – أن يكون أسوة المؤمنين وإمام الموحدين, وحجة الله على العالمين, فقال: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [النحل : 120]

وما خبره – أي إبراهيم – إلا حجر عثرة أمام اليهود والنصارى الذين يزعمون أنهم أتباعه بل كل منهم ينفي الإيمان عن غريمه, قال جل جلاله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ

النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ [البقرة : 113]

وهم يتلون الكتاب ويعلمون أن خبر إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان قبل ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام وقبل ولادة موسى عليه الصلاة والسلام, وهذا استدلال عقلي يقيني مقدمته سهلة قريبة من الفطرة لا ينكرها إلا جاهل جاحد, قال جل جلاله: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ [آل عمران : 65]

وقد أمر الله نبيه الكريم باتباع إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال: ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [النحل : 123], لذلك لما عارضه أهل الكتاب بقولهم: وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [البقرة : 135] أجابهم بهداية الله له باتباع ملة إبراهيم, فقال: قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [الأنعام : 161] لذلك فالله عظم من شأن هذا الإتباع الحق, فقال: وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ

إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً [النساء : 125] وحذَّر من مخالفة هذه الملَّة, فقال: وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [البقرة : 130] وذلك لأنه أنقاد لأوامر الله: إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [البقرة : 131]

والإسلام هو دين الأنبياء أجمعين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى خاتمهم محمداً صلى الله عليه وسلم, وهو دين الله الحق, قال جل جلاله: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [التوبة : 33] وهو الدين القيم, قال: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ [الروم : 43] وهو دين توحيد الله عزَّ وجل وحده لا شريك له, فما من نبي ولا رسول إلا دعا أمته إلى لا إله إلا الله, قال جل جلاله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ [الأنبياء : 25] فأعظم ما أمر الله به التوحيد, لأن شرف العلم وعظمته متعلق بشرف المعلوم فإذا كان المعلوم هو الله كان هذا العلم أشرف الحلوم, ثم فالتعلم أنَّ العقيدة واحدة لا تتغير, بل قد يوحي الله لبعض الأقوام أموراً بالعقيدة كانت غائبة عن الأمم السابقة فهي من قبيل البييان والتفصيل لا التغيير والتبديل, أما الشريعة فلمقتضى حكمته وعلمه فإنه

يُنزِّلها موافقة لأحوال كل أمة, قال جلاله: وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [المائدة : 48]

وأما رؤوس التشريعات فلا تتغير: كحرمة الزنى, وحرمة القتل بغير الحق, وغيرها ..

فلا إيمان حق إلا بخلوص العبادة لله عزَّ وجلَّ وحدة والاتباع لأوامره في كتابه الكريم وسنة رسوله الذي أرسله رحمه للعالمين, فإنه لهذا خلقنا, قال: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات : 56] ومعنى يعبدون أي يوحدوني بالعبادة, وتأمل معي بلاغة تلك الآية والتي في أعظم سورة في القرآن والتي يقرأها المسلم 17 مرة في اليوم هذا إن اقتصر على الفرائض فقط, قوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة : 5] فتقديم إياك يفيد الحصر والقصر, فنوحد الله بالعبادة وكذا الاستعانة, وقد قُدِّمَت العبادة على الإستعانة من باب تقديم الغاية على الوسيلة فالغاية هي عبادة

الله مع كمال الحب له سبحانه وكمال الذل لعظمته وجبروته, والإستعانة هي وسيلة لتحقيق تلك العبادة, وكأن المسلم يقول: يا رب إياك نعبد لا نشرك بك شيئ ولتحقيق عبادتنا لك وحدك لا نستعين إلا بك, فما أجمل التوحيد الخالص مع الإتباع الصائب, وفي ذلك يقول العلماء: العمل الصالح هو ما كان خالصاً صواباً, خالصاً لله في النية, ومتبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم في العمل والآليَّة,

وهو معنى الشق الثاني من شهادة التوحيد "محمد رسول الله", قال جل جلاله: وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ [لقمان : 22]

قلت: تأمل معي قوله تعالى"وهو محسن" مع دعاء الشيخ رحمه الله لك "بالرشد" والذي معناه حسن التصرف, لترى فقه الأئمة عليهم رحمة الله فإنه سبحانه: يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ [البقرة : 269]

• قال المصنف رحمه الله: [وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً)[النساء: 35].]

فإذا كان أعظم الأمور هو التوحيد فإن أحقر الأمور هو نقيضه, لذلك كان الشرك بالله أعظم من نهى عنه الله في كتابه والنبي صلى الله عليه وسلم في سنته, وقد تضافرت الأدلة على ذلك بل إن القرآن كله توحيد لله عزَّ وجلَّ ونهي عن الشرك به سبحانه, فأمر الله بالتوحيد وبين طريقه ونصر أتباعه وأخبر عما أعده لهم من أًناف النعيم وكل ذلك لبيان عظمة التوحيد, كما أنه عاقبل المشركين في الدنيا على أيدي أتباعه الموحدين لمزيد النكال بهم, وأخبر عن عقابهم في الآخرة, وما ذاك إلا لبيان خطر الشرك.

والشرك نوعان منه ما ما يُخرِج من المِلَّة ومِنه ما لا يُخرِج من الملَّة, فالأول يسمى أكبر والثاني يسمى أصغر.

هذا ما سنتكلم عنه في الدرس القادم إن شاءِ الله والحمد لله رب العالمين.